تفسير ابن كثير

يقول تبارك وتعالى : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين } أي تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والاخرة كما قال تعالى : { كتب ا لأغلبن أنا ورسلي إن ا قوي عزيز } وقال D : { إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد } ولهذا قال جل جلاله : { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون } أي في الدنيا والاخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك ا الكافرين ونجى عباده المؤمنين { وإن جندنا لهم الغالبون } أي تكون لهم العاقبة وقوله جل وعلا : { فتول عنهم حتى حين } أي اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فإنا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ولهذا قال بعضهم غيى ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضا في معناها وقوله جلت عظمته { وأبصرهم فسوف يبصرون } أي أنظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد { فسوف يبصرون } ثم قال D : { أفبعذابنا يستعجلون } أي هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فإن ا تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة قال ا تبارك وتعالى : { فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين } أي فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم بإهلاكهم ودمارهم وقال السدي { فإذا نزل بساحتهم } يعني بدارهم { فساء صباح المنذرين } أي فبئس ما يصبحون أي بئس الصباح صباحهم ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس Bه قال : صبح رسول ا صلى ا عليه وسلّم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون : محمد وا محمد والخميس فقال النبي صلى ا عليه وسلّم : [ا أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين] ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس Bه وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة Bه قال : لما صبح رسول ا صلى ا عليه وسلّم خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضهم فلما رأوا النبي صلى ا عليه وسلّم نكصوا مدبرين فقال نبي ا صلى ا عليه وسلّم : [ا أكبر ا أكبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين] لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين وقوله تعالى : { وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون } تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك وا سبحانه وتعالى أعلم